تفسير إبن كثير

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا مُّبِينًا

قال العوفي ، عن ابن عباس : قوله : (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) الآية ، وذلك أن رسول االله صلى االله عليه وسلم انطلق ليخطب على فتاه زيد بن حارثة ، فدخل على زينب بنت جحش الأسدية فخطبها ، فقالت : لست بناكحته ، فقال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " بل فانكحيه " قالت : يا رسول االله ، أؤامر في نفسي فبينما هما يتحدثان أنزل االله هذه الآية على رسوله صلى االله عليه وسلم : (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى االله ورسوله أمرا) الآية ، قالت : قد رضيته لي منكحا يا رسول االله ؟ قال : " نعم " قالت : إذا لا أعصي رسول االله صلى االله عليه وسلم ، قد أنكحته نفسيوقال ابن لهيعة ، عن ابن أبي عمرة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : خطب رسول االله صلى االله عليه وسلم زينب بنت جحش لزيد بن حارثة ، فاستنكفت منه ، وقالت : أنا خير منه حسبا - وكانت امرأة فيها حدة - فأنزل االله ، عز وجل : (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) الآية

كلهاوهكذا قال مجاهد ، وقتادة ، ومقاتل بن حيان : أنها نزلت في زينب بنت جحش [الأسدية] حين خطبها رسول االله صلى االله عليه وسلم على مولاه زيد بن حارثة ، فامتنعت ثم أجابتوقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، وكانت أول من هاجر من النساء - يعني : بعد صلح الحديبية - فوهبت نفسها للنبي صلى االله عليه وسلم ، فقال : قد قبلت فزوجها زيد بن حارثة - يعني واالله أعلم بعد فراقه زينب - فسخطت هي وأخوها وقالا إنما أردنا رسول االله صلى االله عليه وسلم فزوجنا عبده قال : فنزل القرآن : (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى االله ورسوله أمرا) إلى آخر الآية قال : وجاء أمر أجمع من هذا : (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) قال : فذاك خاص وهذا جماعوقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن ثابت البناني ، عن أنس قال : خطب النبي صلى االله عليه وسلم على جليبيب امرأة من الأنصار إلى أبيها ، فقال : حتى أستأمر أمها فقال النبي صلى االله عليه وسلم : فنعم إذا قال : فانطلق الرجل إلى امرأته ، [فذكر ذلك لها] ، فقالت : لاها االله ذا ، ما وجد رسول االله صلى االله عليه وسلم إلا جليبيبا ، وقد منعناها من فلان وفلان ؟ قال : والجارية في سترها تسمع قال

: فانطلق الرجل يريد أن يخبر النبي صلى االله عليه وسلم بذلك فقالت الجارية : أتريدون أن تردوا على رسول االله صلى االله عليه وسلم أمره ؟ إن كان قد رضيه لكم فأنكحوه قال : فكأنها جلت عن أبويها ، وقالا صدقت فذهب أبوها إلى رسول االله صلى االله عليه وسلم فقال : إن كنت رضيته فقد رضيناه قال : " فإني قد رضيته " قال : فزوجها ، ثم فزع أهل المدينة ، فركب جليبيب فوجدوه قد قتل ، وحوله ناس من المشركين قد قتلهم ، قال أنس : فلقد رأيتها [وإنها] لمن أنفق بيت بالمدينة وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد - يعني ابن سلمة - عن ثابت ، عن كنانة بن نعيم العدوي ، عن أبي برزة الأسلمي أن جليبيبا كان امرأ يدخل على النساء يمر بهن ويلاعبهن ، فقلت لامرأتي : لا يدخلن اليوم عليكم جليبيب ، فإنه إن دخل عليكم لأفعلن ولأفعلن قال : وكانت الأنصار إذا كان لأحدهم أيم لم يزوجها حتى يعلم : هل لنبي االله صلى االله عليه وسلم فيها حاجة أم لا ؟ فقال رسول االله صلى االله عليه وسلم لرجل من الأنصار : " زوجني ابنتك " قال : نعم ، وكرامة يا رسول االله ، ونعمة عين فقال : إني لست أريدها لنفسي قال : فلمن يا رسول االله ؟ قال : لجليبيب فقال : يا رسول االله ، أشاور أمها فأتى أمها فقال : رسول

االله صلى االله عليه وسلم يخطب ابنتك ؟ فقالت : نعم ونعمة عين فقال : إنه ليس يخطبها لنفسه ، إنما يخطبها لجليبيب فقالت : أجليبيب إنيه ؟ أجليبيب إنيه ؟ لا لعمر االله لا تزوجه فلما أراد أن يقوم ليأتي رسول االله صلى االله عليه وسلم فيخبره بما قالت أمها ، قالت الجارية : من خطبني إليكم ؟ فأخبرتها أمها قالت : أتردون على رسول االله صلى االله عليه وسلم أمره ؟! ادفعوني إليه ، فإنه لن يضيعني فانطلق أبوها إلى رسول االله صلى االله عليه وسلم فقال : شأنك بها فزوجها جليبيبا قال : فخرج رسول االله صلى االله عليه وسلم في غزاة له ، فلما أفاء االله عليه قال لأصحابه : " هل تفقدون من أحد " ؟ قالوا : نفقد فلانا ونفقد فلانا قال : " انظروا هل تفقدون من أحد ؟ " قالوا : لا قال : " لكني أفقد جليبيبا " قال : " فاطلبوه في القتلى " فطلبوه فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه [قالوا : يا رسول االله ، ها هو ذا إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه] فأتاه رسول االله صلى االله عليه وسلم فقام عليه ، فقال : قتل سبعة [وقتلوه] ، هذا مني وأنا منه مرتين أو ثلاثا ، ثم وضعه رسول االله صلى االله عليه وسلم على ساعديه [وحفر له ، ما له سرير إلا ساعد النبي صلى االله عليه وسلم] ثم وضعه في قبره ، ولم يذكر أنه غسله ، رضي االله عنه قال

ثابت : فما كان في الأنصار أيم أنفق منها وحدث إسحاق بن عبد االله بن أبي طلحة ثابتا : هل تعلم ما دعا لها رسول االله صلى االله عليه وسلم ؟ فقال : " اللهم ، صب عليها [الخير] صبا ، ولا تجعل عيشها كدا " كذا قال ، فما كان في الأنصار أيم أنفق منهاهكذا أورده الإمام أحمد بطوله ، وأخرج منه مسلم والنسائي في الفضائل قصة قتله وذكر الحافظ أبو عمر بن عبد البر في " الاستيعاب " أن الجارية لما قالت في خدرها : أتردون على رسول االله صلى االله عليه وسلم أمره ؟ تلت هذه الآية : (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى االله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم)وقال ابن جريج [أخبرني عامر بن مصعب ، عن طاوس قال : إنه سأل ابن عباس عن ركعتين بعد العصر ، فنهاه ، وقرأ ابن عباس ، رضي االله عنه : (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى االله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم)]فهذه الآية عامة في جميع الأمور ، وذلك أنه إذا حكم االله ورسوله بشيء ، فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد هاهنا ، ولا رأي ولا قول ، كما قال تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) [النساء : 65] وفي الحديث : "

والذي نفسي بيده ، لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به " ولهذا شدد في خلاف ذلك ، فقال : (ومن يعص االله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) ، كقوله تعالى : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) [النور : 63]